ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr. Nyan Othman Sharif

Dr. Majid Hamid Awkhti

University of Sulaimani - College of Languages -

Email:
nian.sharif@univsul.edu.iq
majid.awkhty@univsul.edu.iq

Keywords:

Cognitive linguistics, Conceptual blending theory, mental, conceptual blending network.

CC BY

Article info

Article history:

Received 30.May.2025

Accepted 1.Jul.2025

Published 25.Aug. 2025

Approaching Conceptual Blending in the Holy Qur'an - A Cognitive Semantic Study-

A B S T R A C T

Cognitive linguistics is the science that studies the mental aspect of language, as an aspect independent of other cognitive studies. Conceptual blending theory is a branch of cognitive theory that builds on its tools and uses its ideas. This theory arose from the question of how new concepts are created in human thought, including images, ideas, actions, and formulations in all fields, through a cognitive (inner) background. The resulting actions, at the conscious level, appear simple and straightforward, but are in fact the product of a number of extremely complex laws. This is what is called the conceptual blending network. Applying this theory to texts, especially the Qur'an, inspires insights into how to blend spaces and ideas in Qur'anic expression to understand the text as intended.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol60.Iss2.4530

مقاربة المزج المفهوميّ في القُرآن الكريم– دراسة دلاليَّة معرفيّة –

أ.م.د. نيان عثمان شريف م.د. ماجد حميد آوختي

جامعة السُليمانية ـ كلية اللُّغات ـ قسم اللُّغة العربيّة

المُلخص:

اللِّسانيَّات المعرفيّة علم دراسة الجانب الذّهنيّ من اللُّغة، بوصفه جانبًا مستقلاً عن سائر الدِّراسات المعرفيّة، وتُعدُّ نظريَّة المزج المفهوميّ فرعًا من النّظريَّة المعرفيّة التي تقوم على أدواتها وتستخدم أفكارها، إلا أنها ولِدَتْ من رَحِمِ تساؤل عميق عن كيفيّة إنشاء المفاهيم الجديدة في الفكر البشريّ، بما يحويه من صور وأفكار وأعمال في جميع المجالات استنادًا إلى الخلفيَّة المعرفيّة (الباطنية)، وتكون نتاجاتها في مستوى الوعي أعمالا بسيطة مباشرة في ظاهرها، ولكنها في الواقع

وليدة عدد من القوانين على غاية من التعقيد، وهذا ما يطلق عليه شبكة المزج المفهوميّ. وتطبيق هذه النّظريَّة على النّصوص لاسيَّما النّص القرآنيّ، يُلهِم بكيفية مزج الأفضية والأفكار في التّعبير القرآنيّ، لفهم النّص كما المطلوب.

الكلمات المفتاحية: اللِّسانيَّات المعرفيّة، نظريّة المزج المفهوميّ، الذهنيّ، شبكة المزج المفهوميّ

پوختە:

زانستی زمانی درکپێکردن، زانستێکە بۆ لێکۆڵینەوە لەسەر لایەنی ئاوەزیی زمان، وەک لایەنێکی سەربەخۆ لە توێژینەوە درکپێکردنەکانی تر. تیۆری ئاوێتەبوونی چەمکیی، لقێکە لە تیۆری درککپێکردن، کە بۆ بنیاتنانی، پشت بە ئامرازەکانی خودی تیۆرەکە دەبەستێت و بیرۆکەکانی پەیرەودەکات. سەرهەڵدانی تیۆرەکە بۆ ئەو پرسیارە دەگەڕێتەوە، کە ئایا چەمکە نوێیەکان چۆن لە بیری مرۆڤدا دروستدەبن؟ لەوانە (وێنە، بیرۆکە، کردارو فۆرمولەکردن) لە هەموو بوارەکاندا لە ڕێگەی پاشخانی مەعریفی (ناوخۆیی)یەوە، هاوکات دەرئەنجامی ئەو چەمکە نوێیانەش لە ئاستی هۆشیاریدا، وەک کردەی سادەو ڕاست و دروست لە ڕووکەشدا دەردەکەون و بەرجەستەدەبن، بەڵام لە ڕاستیدا هەموو ئەوانە، بەرهەمی کۆمەڵێک یاسای زۆر ئاڵۆزن، کە بە تۆڕی ئاوێتەبوونی چەمکیی، ناودەبرێن/ دەناسرێن. جێبەجێکردنی ئەم تیۆرییە بەسەر دەقەکاندا، بەتایبەتیش دەقە قورئانییەکان، هۆکارە بۆ تێگەیشتن لەوەی، چۆن بیرۆکەکان لە دەربڕینی قورئانییدا ئاوێتەدەکرێن، تاوەکو وەرگر بە دروستی لە واتاکانیان تێبگات.

کلیلە ووشەکان: زانستی زمانی درکپێکردن، تیۆری ئاوێتەبوونی چەمکیی، ئاوەزیی، تۆڕی ئاوێتەبوونی چەمکیی.

المُقدِّمة:

نظريَّة المزج المفهوميّ نظريَّة في اللِّسانيَّات المعرفيّة، ومحاولة لتفسير قدرة البشر على التجديد السريع، وتكمن أصول الطاقة الخلاقة لدى البشر في شبكة المزج المفهوميّ. يحاول هذا البحث الإجابة عن عدة أسئلة من قبيل: كيف للعلوم المعرفيّة أن تنشئ معاني جديدة من معان قديمة؟ ما الآلية التي يمكن عن طريقها تفاعل معان قديمة لإنتاج معان جديدة؟ وقد استخدِم في هذه الدِّراسة المنهج المعرفيّ التّحليليّ التابع لمدرسة اللِّسانيَّات المعرفيّة. وفيما يخص حدود الدِّراسة، فقد اعتمدت الدِّراسة على النّص القُرآنيّ. ويتكون البحث من مبحثين ومُقدِّمة. الأول، يحمل عنوان (نظريَّة المزج المفهوميّ). والثاني، (مقاربة المزج المفهوميّ في القُرآن الكريم). واختتمت الدِّراسة بمجموعة من الاستنتاجات.

المبحث الأول: نظريَّة المزج المفهوميّ:

نشأت نظريَّة المزج المفهوميّ من تساؤل عن كيفية إنشاء المفاهيم الجديدة في الفكر البشريّ. وقد تبين قصور نظريَّة الاستعارة المفاهيميَّة (Conceptual metaphor theory) للاكوف (Lakoff, G.) عن الإحاطة بنماذج من هذا القبيل لذا وُضِعت هذه النّظريَّة. تعدُّ نظريَّة المزج المفهوميّ النّظريَّةَ الموسعة من نظريَّة الأفضية الذّهنيَّة (Mental space theory) (الزّنّاد، ٢٠١٤: ٢٦٣).

وقد نادى بهذه النّظريَّة كلّ من جيل فوكونييه (Fauconnier, G.) ومارك تورنر (Turner, M.)، وذلك في كتابهما (في ما به نفكر)، وأطلقا على هذه النّظريَّة تسمية نظريَّة الدمج التّصوريّ (Conceptual blending)، أو نظريَّة المزج المفهوميّ (Conceptual integration) (نصيرة وشتوان، ٢٠٢١: ٣٨٣). يقول تورنر عن بدايات ظهور هذه النّظريَّة: " اقترحت أنا وجيل فوكونييه إطار العمل الأول لبلورة نظريَّة المزج في محاضرات مشتركة سنة (١٩٩٣)، وفي أبريل (١٩٩٤) عرضنا ملامح هذا الإطار النَّظريّ في تقرير تقنيّ بعنوان (الإسقاط المفهوميّ والأفضية الوسيطة) ولكنّ أشهر عرض لنظريَّة المزج يتضمنه كتابنا الذي صدر سنة (٢٠٠٢) بعنوان (في ما به نفكر: المزج المفهوميّ وتعقّدات الذِّهن الخفيّة)". وقد قطعت نظريَّة المزج المفهوميّ أكثر من عشرين عامًا، وتطورت بسرعة كبيرة في بداية نشأتها. بدأ ظهور هذه النّظريَّة بوساطة حافزين اثنين: الأول، يكمن في تبلور نظريَّة المزج في المسألة العلمية التي تدور في عصرنا حول ماهيّة العمليّات التي تفسر القدرة الآليَّة الذّهنيّة على إنشاء شيء إضافي من لا شيء (تورنر، ٢٠١١: ٤،٩). والثانية،

تقترح نظريَّة المزج المفهوميّ أن هناك عمليّة نظاميّة ذات أهداف شاملة بعيدة المدى ومبادئ تأسيسيّة. إنَّ ما كان يعدُّ في القديم ظواهر متباعدة أو عمليّات ذهنيَّة مُتباعدة – نماذج مختلفة – ، يعدُّ الآن ظواهر متجانسة ومتوافقة. ففي اللِّسانيَّات نجد تسميات من قبيل الإعلاء والتّحكم وملء الفراغ والحذف...، ونجد في العلوم المعرفيّة وفي علم النّفس تسميات من قبيل الإطار والمضاد للواقع والشرطيّ والافتراضيّ والمقولة والذّاكرة والهوية...، ونجد في علوم البلاغة تسميات من قبيل المجاز والاستعارة والوصل والفصل والكناية والتشبيه ...، إنما هذه الظواهر نتاجات لشبكات المزج الموجّهة بمبادئ عامّة واحدة، وبغايات شاملة واحدة، ولا فكاك بينهم لا في النّظريَّة ولا في التّطبيق؛ فأغلب الحالات تنطوي على أنواع كثيرة من المزج. فنظريَّة المزج تتبنى الفكرة التي مفادها أن قدراتنا المعرفيّة البشريَّة الحديثة إنّما نشأت نشوءً واحدًا، وأن محاولة تفسيرها كلا على حدة تقودنا إلى المغالط، كونها نشأت معًا من زاوية تكوينية عامة في مستوى النّوع البشريّ، كما تنشأ معًا من زاوية تكوينية فرديّة في مستوى الطفل (تورنر، ٢٠١١: ٨–٩، ١٣).

تعتمد هذه النّظريَّة كالنّظريَّات المعرفيّة الأخرى على **الذِّهن** و**الخيال**. بالنسبة للذِّهن، هناك فرق مهم بين الوجود العينيّ الحسيّ للمعنى والوجود الذِّهنيّ المحض، فيما يُطلَق عليه المعاني الذِّهنيّة، ترتبط معرفيًّا بما يصنعه دماغنا من محاكيات وآليّات وتقنيات لأجل ربط الأجزاء وإعادة تفكيكها بسهولة (طعمة، ٢٠١٨: ٢٩). و**الخيال** ضروريّ في التّصور البشريّ. ومن سوء الحظ أن نستعمل كلمة **خياليّ** لأنَّنا نفكر في **(خياليّ)** على أساس أنَّها ضد لحقيقيّ. ثم إن المفاهيم الخياليَّة، في الأغلب، على غاية من الأهمّيّة في فهم الحقيقة. فالتّصور الخياليّ في بقعة ما من الشبكة قد يكون بالفعل خياليًا إذا ما أُخِذ على أنَّه بنية معنويَّة مستقلة بنفسها، ولكن هذه المواضع الخياليَّة في الشبكة قد تعيننا على الإمساك بالحقيقة التي تسري عبر الشبكة، فالمزيج يؤدي عمله الذي يجب أن يؤديه لتيسر فهم الحقيقة (تورنر، ٢٠١١: ١٩).

تدور الفكرة الأساسيَّة لهذه النّظريَّة حول الفضاءات الذِّهنيّة بالقول إنَّها عبارة عن بنيات معرفيّة، تستحث باللُّغة، ولكوننا بشراً لا يمكننا أن نصل بوساطة معرفتنا ولُغتنا إلى أي شيء إلا في حدود التّجربة والفكر البشريين. وعليه فنحن نستخدم إبّان استعانتنا بالفضاءات الذِّهنيّة لتحليل البنية اللُّغويَّة، تمثيلاً لا يرتبط بوضوح بأي واقع خارج لغويّ/لسانيّ. يوافق محللو الفضاءات الذِّهنيّة على وجود عالم خارجيّ، ولكن تجربة النَّاس معه تعتمد على إدراكهم الحسيّ له وتفاعلهم معه، وليس بإمكاننا أبدًا أن نصل إليه بمعزل عن ذلك. والعالم الذي يعرفه الإنسان هو العالم الذي يتصوره في ذِهنه. ودور اللُّغة، من هذا المنظور، هو توجيه عمليّة بناء التَّصورات عن طريق استحثاث فضاءات معرفيّة وأطر معرفيّة، بدلا من مجرد تمثيله فقط (دحمان، ٢٠١٢: ٣٨٨).

المزج المفهوميّ، نظريَّة تفسر آليَّة اشتغال الذِّهن البشريّ، فنظام التّفكير قائم على بناء الأفضية الذِّهنيّة والربط بينها، وهي آليَّة معرفيّة تحكم تفكير الإنسان وتميزه، والتّفكير بحدّ ذاته مزج بين فضاءات ذِهنية مختلفة. وفي شتى ضروب التّفكير، حتى البسيطة منها، يقوم الإنسان بالمزج بين الفضاءات الذّهنيّة (نصيرة وشتوان، ٢٠٢١: ٣٨٤).

وصف بعض الباحثين هذا التّطور بأنَّه عمليّة ترقيع. فعامل الترقيع يأخذ أشياء جاهزة ثم يبني منها ما يبني، فهو يحور الأشياء بأن يبني منها شيئًا جديدًا. ويمكن أن يبتدع الترقيع ظواهر جديدة وأبنية جديدة. فالتّطور لا يبدأ من العَدَم. والمزج كذلك عامل الترقيع، هو مرقع ذهنيّ، يعمل بسرعة شديدة في أغلب الحالات، وبشكل غير مرئيّ فوق ذلك، فالمزج، ذلك المرقع الذّهنيّ الذي نشأ بفضل التّطور البيولوجي، يعمل بسرعة فائقة تتجاوز سرعة العمل في أيّ واحدة من الآليَّات الأخرى في التّطور البيولوجي، وهو –أي المزج– يشتغل على ما هو حاصل عن الجمع بين الأشياء، بوجوه جديدة يكون لها نشوء بنية جديدة، لا تتأتى تأتيًا مخصوصًا(تورنر، ٢٠١١: ١٢).

المزج إذن (الزّنّاد، ٢٠١٤: ٢٦٣–٢٦٤) (أحمد، ٢٠١٤: ١٤٥) (نصيرة وشتوان، ٢٠٢١: ٣٨٥):

١- **ملكة معرفيّة:** ملكة معرفيّة بمعنى أنَّها جملة عمليّات طبيعيّة، يقوم عليها اشتغال الذِّهن في جميع مظاهره بصورة طبيعيّة عفويّة آليّة.

٢- **عمليّة آنية** (on-line): المزج ملكة حركيَّة مرنة عاملة زمن التفكير (آن–قوليّة)، بمعنى أنَّ عمليّة التّفكير تتم في أثناء الكلام، بل يقوم عليها الكلام؛ وما يحدث فيه من حوارات وجدال.

٣- **عمليّة تعتمد على الخلفيَّة الذّهنيّة:** تقوم الخلفيَّات الذِّهنيّة التي لدى المُتَكَلِّم والسامع بإدارة الحوار وتوجيهه، وتشير إلى هذه الخلفيَّات شيفراتُ القول التي لا يحلها إلا المُتَكَلِّم وبعض المستمعين بناءً على تلك الخلفيَّات.

٤- **عمليّة عقليَّة معقدة:** المزج عمليّة تخضع لعدد من القوانين التي تحكمها وتوجهها، وتتم العمليّة في شكل شبكة من عمليَّات المزج المفهوميّ، حيث تمثل التعبئة والتفكيك واحدة من السمات المركزيَّة في المزج.

٥- **عمليّة في اللاوعي:** تتم عمليّة المزج من خلال إدراك ووعي تامين ليكون توجيهها للفرد صحيحًا، وتكون بطريقة عفويّة وتلقائيّة ومتكررة، نظرًا لتكرارها المستمر في حياة الإنسان، ولأنَّها مركزيّة في حياة الفرد، وراسخة في العقل البشريّ، ولا يمكن الاستغناء عنها، تظهر وكأنَّها آنية من اللاوعي.

وتقوم نظريَّة المزج على تمثيل العمليَّات المعرفيّة (في آن القول والتفكير معًا) من خلال شبكة المزج المفهوميّ التي تتكون من الأفضية الذّهنيّة، والإسقاط ما بين الأفضية، والفضاء الجامع والمزج، والإسقاط الانتقائي، والتركيب والإتمام والبلورة، ثم أخيرًا البنية الجديدة الناشئة. وتتشكل الأفضية الذّهنيّة من أربعة أفضية هي: **فضاءان دَخْلان، وفضاء جامع، وفضاء مزيج،** ويمثل المزج العمليّة الذّهنيّة التي يتطابق بناءً عليها الفضاءان الدخلان تطابقًا جزئيًا، وينعكس قسم من عناصر كلّ منهما عن طريق الانتقاء في فضاء رابع هو الفضاء المزيج. أما عمليّة **التّركيب** فتحدث بإسقاط مضامين كلّ من الفضاءين الدَخْلَيْن رأسًا في الفضاء المزيج، وذلك بأن تنشأ علاقات جديدة لم تكن موجودة في ذينك الفضاءين المنفصلين. ويقوم **الإكمال** على إكساء المعاني والتّصورات الناشئة جملة من الأبعاد تستمد من المعارف العامة المشتركة ومن التّجربة الجماعية المحفوظة في الذاكرة طويلة المدى. والإكمال في العموم إنشاء لمعان جديدة لا يحملها منطوق الفضاء المزيج. أما عمليّة **البلورة** فتمثل تطويرًا للمزيج من حيث تصوره وتخيّله بتوسيع مداه وتفاصيله وأبعاده، وتحميله دلالاتٍ مخصوصةً رمزيّة كانت أو غير رمزيّة (الزّنّاد، ٢٠١٠: ٢٣٠–٢٣٢).

إنْ كانت جميع الأبنية المزجيّة خاضعة للمبادئ والعمليَّات المعروضة قبل هذا فإنَّها متفاوتة في الجودة، وذلك في ضوء ما يسميّه فوكونييه وتورنر مبادئ الأفضية، وهي **الإدماج**، و**ثبات التعلق، وشدة الاتصال** و**قابلية التّفكيك والتبرير**. ينص مبدأ **الإدماج** على أن يكون المزيج مندمج العناصر بوجه يكون له وحدةً متكاملة تعالَج معالجة كليّة. وينص مبدأ **ثبات التعلق** على أن يكون لكلّ عنصر في الفضاء المزيج العلاقات نفسها التي لنظيره من العناصر المكوّنة للفضاء الدخل. كما ينص مبدأ **شدة الاتصال** على أنَّه من الأفضل الحفاظ على الاتّصال ما بين الفضاء المزيج وكلّ من الفضاءين الدَخْلَين، بوجه يسهل به الاهتداء إلى التّناسب بين المضامين في كليهما، وذلك مباشرة من دون جهد إضافي ولا استدلال. وقوام **قابلية التّفكيك** أن يتضمن المزيج ما يعيد بناء الفضاءين الدَخْلَين أحدهما أو كليهما، وما بينهما من إسقاط والفضاء الجامع كذلك، وشبكة العلاقات الرابطة بينها جميعًا، كلّ ذلك انطلاقًا من المزيج ليس غير. ويتعلق **مبدأ التبرير** بأن يكون لكلّ عنصر يتضمنه الفضاء المزيج سببٌ أو مبرر لوجوده، وبأن يكون له معنى أو غاية (الزّنّاد، ٢٠١٠: ٢٣٢–٢٣٣).

أنواع المزج المفهوميّ:

قدّم العالم اللُّغويّ تورنر أنواعًا للمزج المفهوميّ، على أساس أنَّ المزج شبكات، منها (تورنر، ٢٠١١: ١١–١٢، ٣٤):

- **المزج المفهوميّ (الشبكات المرآة):** إنّ هذا النوع من المزج هو أبسط أنواع المزج؛ حيث تشترك جميع الأفضية المُشكَّلة للمزج في الإطار المفهوميّ نفسه.

- **مزج الشبكة المفردة:** في هذا النوع من المزج هناك فضاءُ دَخْلٍ واحدٍ في إطار مفهوميّ قائم على أساس انطباقه على مجال مفهوميّ من نوع مخصوص، وتوجد في الدخل الآخر عناصر ملائمة لذلك المجال المفهوميّ.
- **المزج الدّوامة:** هذا النوع من المزج ينشأ عندما تكون للأفضية الدخل، أطرُ تنضيدٍ تتصادم في البنية المركزيّة– السببيّة، بنية المشاركين، والوجهة، والاحتمال... وما إلى ذلك. وعلى الرغم من وجود التصادم بين الأفضية الدخل إلا أنّ ذلك لا يمنع قيام المزج، ولاسيَّما أنّ المزج بين أفضية متصادمة مركزيًا هو ما يختص فيه بنو البشر، وهكذا فإنَّ هذا التصادم يُتيح لنا أن نستخدم ما لدينا من قدرة متقدمة على المزج المفهوميّ. إن المزج عمليّة ذهنيّة بسيطة بلغت شكلها الأرقى، وهذا الشكل الأرقى هو ما يفسر قيام إمكانيّات كبيرة من العمليّات الذِّهنيّة العليا عند البشر، بما فيها اللُّغة. فالمزج الدّوّامة قادرٌ، بوجه مخصوص، على إنتاج مشاهد كائنة على السلم البشريّ معبأة وجوالة تُقيم جسورًا عابرة للزمان وللمكان وللذوات. فالمزج الدّوّامة على غاية من القوة ولاسيَّما في تجميع الأفكار والأبنية والمعاني التي تتصادم، كما أنَّ مدى الفكر البشريّ شاسع مديد، وقد وُصِف الدِّماغ بأنَّه منسج سحريّ.
- **المزج التجسيديّ:** من خلال المصطلح يتبين أنّ المزج ومن حيث هو آليّة معرفيّة يعتمد على الجسد وتفاعله مع محيطه، وفي هذا النوع من المزج نقف أمام مزج غير لغويّ قوامه وضعيات ماديّة متنوعة يكون فيها ناتج المزج حركة أو هيأة.

مثال على المزج المفهوميّ:

رجل في حفل زفاف يستقبل المدعوين، والحفل يجري على حافّة مرتَفَعٍ يُطِلُّ على المحيط الهادئ. ويتذكر هذا الرجل وهو في حفل الزفاف، أنَّه كان يغطس بصحبة حبيبته منذ ثلاثة أسابيع في المكان نفسه (تورنر، ٢٠١١: ١٣–١٤):
الفضاء الذّهنيّ الأوّل (فضاء الزفاف)/ **العريس** في حفل زفاف، يستقبل المدعوين.

الفضاء الذّهنيّ الثّاني (فضاء الغطس)/ **الحبيب** يغطس بصحبة حبيبته منذ ثلاثة أسابيع في المكان نفسه.

فالرجل قادر على أن يربط بين فضاءين ذهنيين بالعلاقات الأساسية. فيمكنه أن يستخدم علاقة إطارية ليربط بين العروس من الفضاء الذهنيّ الأول والحبيبة من الفضاء الذهنيّ الآخر، وعندئذ يمكنه أن يشرع في إسقاط انتقائيّ. أي: أن يأخذ أجزاء من كلّ فضاء ذهنيّ ويسقطها على فضاء ذهنيّ جديد متخيل وهو فضاء ذهنيّ مزيج. ثم يمكنه أن يكون في الفضاء المزيج الجديد هذا: الرجل الذي تُزّفُ إليه حبيبته في هذا المكان. ففي هذا الفضاء المزيج إطار للزفاف ودور لكلّ من العريس والعروس، ولكن الرجل في دور العريس وحبيبته في دور العروس.

الفضاء المزيج (وجود الرجل)/ العريس مع حبيبته (العروس) في الزفاف.

انطلاقا من القول: " أنَّ البشر يقومون عن طريق ملكة المزج المفهوميّ بعمليّة بناء المعنى بوساطة صنع شبكات من التمازج المفهوميّ؛ فيحدث –بناء عليها– إيجاد معان جديدة ومفاهيم جديدة. وتنشأ عمليّات المزج فيما يسمى الخلفيَّة المعرفيّة في مستوى اللاوعي؛ لتنتقل إلى مستوى الوعي. وتنشئ ملكة المزج المفهوميّ مفاهيمًا وصورًا تتحول إلى أشياء متجذرة في البنية المفهوميّة عند البشر وفي النحو الذّهنيّ لديهم (الملكة اللغوية)" (طعمة، ٢٠١٧: ٤١١). إنَّ نظريَّة المزج المفهوميّ نظريَّة في صلب المعنى؛ لأنَّها تساعد على توليد معان جديدة اعتمادًا على الخلفيَّة المعرفيّة المُكوَّنة من شبكات المزج المفهوميّ (الأفضية الذّهنيّة) من خلال عمليَّات في غاية التعقيد. وكلّ ذلك تنتقل من اللاوعي إلى الوعي من أجل فهم المتلقي فهمًا يليق بالمقام.

المبحث الثاني: مقاربة المزج المفهوميّ في القُرآن الكريم:

لا شك في أن النص القرآني منهل العديد من الباحثين في الدراسات اللغوية قديمًا وحديثًا، وذلك لما يحويه من بنية لغوية تفاعلية، ولما تحمله هذه البنية من استعارات ودلالات ذهنية، وما نظرية المزج المفهومي إلا عملية ذهنية بُغية إدراكِ هذه الدلالات لإنتاج معاني جديدة وفهمِ غايةِ المخاطِب، ومن أمثلة مقاربة المزج المفهومي في التنزيل العزيز، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ (الإسراء:٢٩). إذْ نهى الباري –عزّ وجلّ– في هذه الآية عن الشُّح في المال أو الإسراف فيه، ووصفُهُ اليدَ بالمغلولة ما هو إلاّ كنايةٌ عن البخل، لأنَّ العرب يجعلون العطاء معبرًا عنه باليد، كما يجعلون بسط اليد كناية عن الكرم. فإذن نحن أمام فضاءين دَخْلَين في هذه الآية:

– الفضاء الأول: هو فضاء (اليد المغلولة).

– الفضاء الثاني: هو فضاء (اليد المبسوطة).

يمثل الفضاءُ الأول الإنسانَ الذي يشح ويبخل بالمال، وكأنَّ يدَهُ غُلَّت إلى عُنقه، أي شُدَّت بالغُلّ وهو القيد من السَّيْر يُشدُّ به يدُ الأسير، فإذا غُلَّت اليدُ إلى العنق تَعذَّر التصرفُ بها، فتعطل الانتفاعُ بها، فصار مصدرُ البذل معطَّلا، وبضده يمثل الدَخْلُ الثاني الإنسان المبذّر والمُسرِف الذي يبسط يده غاية البسط، وهو المفاد بقوله: كل البسط، أي: البسط الذي لا بسط بعده، وهو منتهاه (ابن عاشور، ١٩٨٤: ١٥/٨٤، والجدراي،٢٠٢١: ٨٩).

وتقوم عملية المزج المفهومي بالجمع بين الفضائين الدَخْلَين لخلق معنى جديد، وذلك عَبْرَ إسقاط صفات الدخل (الأوّل): الإنسان والبخل واليد المغلولة على الفضاء الجامع، وكذلك إسقاط صفات الدخل (الثاني): الإنسان والإسراف واليد المبسوطة، على الفضاء نفسهِ، فيحدث تقابل بين تلك الصفات، لبناء صورة جديدة لدى المتلقي، من خلال البحث عن نقاط التشابه والالتقاء بين الدَخْلَين في الفضاء الجامع، لتتمَ بلورتُها في الذهن وخلق المعنى الجديد، من ثَمَّ إسقاطه في الفضاء المزيج.

وهذا المعنى الجديد: هو المعنى الثالث غيرُ المنطوق، المُدْرَكُ والمقصودُ من الآية، ويتمثل في اتخاذ الوسطية بين طَرَفَي الدَخْلَين: الإفراط في البخل، والتفريط في البسط. والوسطية هي الحد الذي عَبَّر عنه –عزَّ وجل– في الآية، وذلك بنفي الدَخْلَين وصفاتهما بوساطة (لا) الناهية (أحمد، ٢٠١٤: ١٤٩).

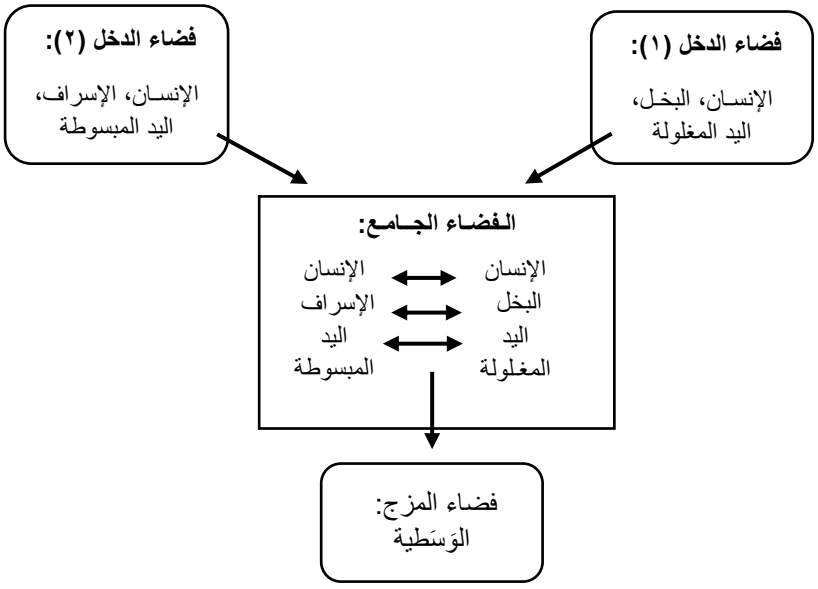

كما أن للمزج المفهومي– بوصفه نظرية استدلال– دورًا مهمًا في عقد موازنة بين الفضاءات المتناقضة وإن كانت ذواتَ تراكيب لغوية متشابهة، ففي قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ٦٠)، تمثيلٌ لرجلينِ يمثلان فضاءَينِ دَخْلَيْن متناقضين:

– الفضاء الأول: رجل مملوك لأسياد شركاء متشاكسين.

– الفضاء الثاني: رجل مملوك لسيد واحد.

يُقدّم الفضاءُ الأول صورةً عن رجلٍ مملوك لعدّة أسياد يتشاركون في إمْرَتِهِ متنازعين عليه، فيعيش في حالة اضطراب وتضارب في الأوامر التي تصدر إليه، فلا يعرف مَنْ يُرضي من أسياده، مما يجعله في شقاء مستمر، في حين يُقدّم الفضاءُ الثاني صورةً عن الرجلَ الذي له سيد واحد، فيعيش في استقرار ووضوح في اتباع الأوامر والطاعة، مما يمنحه الراحة والسكينة (الخازن، ١٤١٥: ٥٦/٤).

من ثم يأتي دور المزج المفهومي، ليُعطي فهمًا أعمقَ للفضاءين الدَخْلَين عن طريق استدعاء رموز وصفات كل من الفضاءين وبيان علاقتهما بالشرك والإيمان، لإسقاطهما في الفضاء الجامع، بغية تفسير هذه الرموز والصفات وصورها المتناقضة عَبْرَ أطر معرفية وثقافية مخزنة في الذهن لاستنتاج معنى جديد، مِن ثمَّ إسقاطه في الفضاء المزيج. وعليه فإن الرجل المملوك الأول، يرمز إلى المُشرِك الذي يتوزع ولاؤه بين آلهة متعارضة، فيعيش في اضطراب نفسي وشقاء مستمر، في حين يرمز الرجل المملوك الثاني إلى المؤمن المُوحِّد، الذي يُسلّم نفسَه لله الواحد الأحد، فيحيا حياة مستقرة ومطمئنة (الراغب، ٢٠٠١: ١٧٥).

والمعنى الجديد غيرُ المنطوق المستنتج من الآية في الفضاء المزيج، هو التوحيد والدعوة إليه وأن عبادة الله الواحد أكثر سكينةً وراحةً من تعدد الولاءات الوثَنيّة أو البشرية المتناقضة.

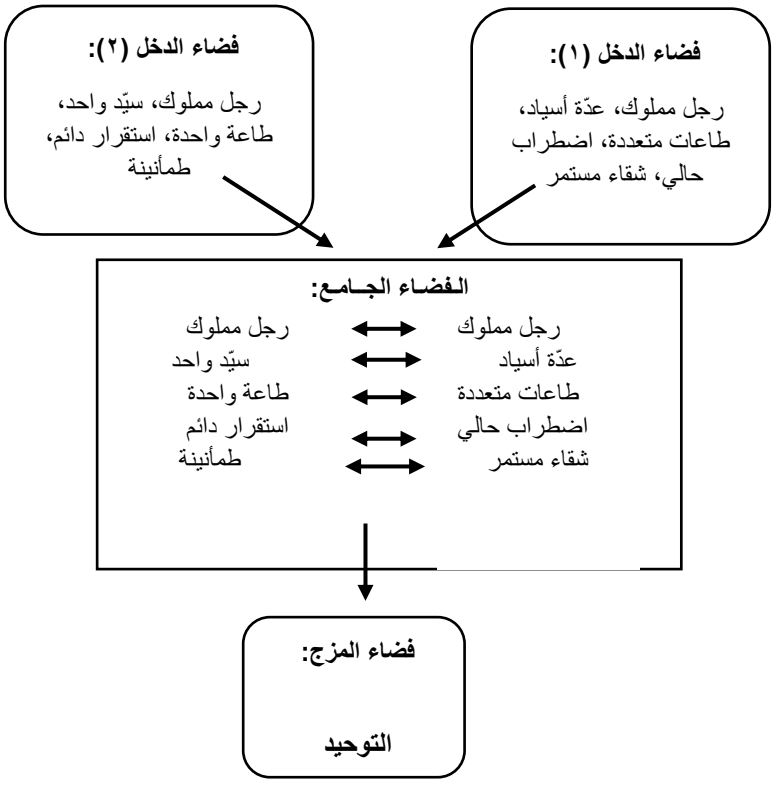

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(يونس: ٢٤).

أشار –سبحانه وتعالى– في هذه الآية إلى أسباب الاغترار بالدنيا، وذَكَر أن ما يسبب الاغترار سريع الزوال، لَا يُوجَد إلاّ ليزول، كالبرق لَا يلمع إلا ليختفي، وقد شبّه حالَ الدنيا في سرعة انقضائها وانخداع المغرور بها، كزرع نبت في الأرض من اختلاط ماء السماء بها، حتى إذا اخضرَّت الأرض وتزيَّنت وفرح بها أصحابها وظنوا أنهم قادرون عليها، أتاها أمر الله فأزال زرعها فصارت كأنها قد حصدت بمِنجلٍ (الطيبي،٢٠١٣: ٤٦٤/٧)

وعليه فإن في الآية فضاءَين دَخْلَيْن رئيسين:

الأول: دورة الحياة النباتية.

الثاني: دورة الحياة الإنسانية.

ولكي يتولد المعنى الجديد، لا بدّ من إسقاط فضاء الدَخْل الأوّل بكل ما يحمل من خصائص نباتية، ونزول المطر من السماء، ونمو النبات وازدهاره، وتزيين الأرض بالزرع، وظن الناس أنَّ الأرض وزرعَها تحت سيطرتهم، فتصبح قَفْرًا بأمر من الله، على فضاء الدخل الثاني بكل ما يحمله من خصائص إنسانية وانشغاله بزينة الدنيا ومتاعها، وظنّه أنه قادر على التحكم بهذه الحياة والسيطرة عليها، وفناء الحياة بأمر من الله، في الفضاء الجامع لبلورته في الذهن عن طريق الإسقاطات المعرفية لدى المتلقي. والمعنى الجديد الذي يتولد من مزج هذين الدَخْلَين، هو أن الدنيا ليست سوى حياة زائلة، مثل دورة الحياة النباتية، وأن الازدهار المؤقت للحياة يشبه ازدهار الأرض بعد نزول المطر، لكنه سينتهي حتمًا، وأن الشعور بالسيطرة على الدنيا هو وهم، مثلما يظن أهل الأرض أنهم قادرون عليها، فكما أنَّ الأرض تتحول فجأة إلى قاحلة بأمر من الله بعد أن كانت خضراء: ﴿ كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾، كذلك الحياة الدنيا تنتهي فجأة بالموت أو بقيام الساعة، بأمر منه أيضًا (الجدراي،٢٠٢١: ٨٩).

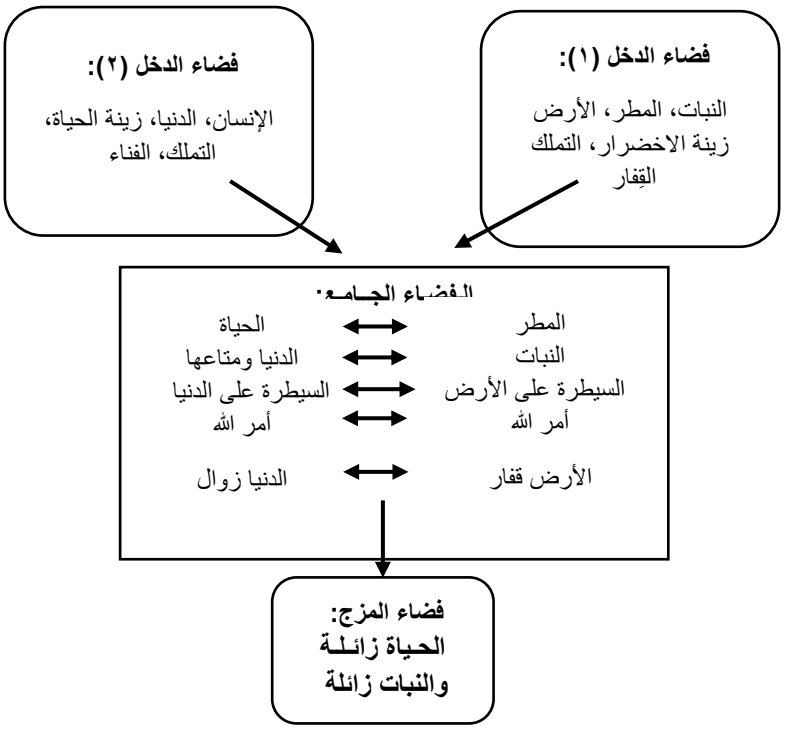

لقد ولّد المزج المفهومي بين هذين الدَخْلَين صورةً عقلية جليّة عن فناء الدنيا، وأنها ليست سوى مرحلة مؤقتة، مما يُمكّن التأمل والتفكر في حقيقتها، وهذا يتّسق مع قوله – عزّ وجلّ – في ختام الآية: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وبيّن المزج المفهومي كيف أن القرآن الكريم يستخدم الصور الذهنية والتشبيهات بطريقة تتماشى مع العمليات الإدراكية البشرية، الأمر الذي يجعل معانيه حية ومؤثرة على مر العصور.

كما أن للمزج المفهومي أهميةً كبيرةً في تبيان الانفعالات الوجدانية السلبية لدى المشركين كالخيبة والخسران، نتيجة مخالفة الواقع لتوقعاتهم، وذلك عن طريق تركيب لغوي يعمل على طرح تساؤلات لبناء فضاءات ذهنية، يدرك المتلقي بوساطته الأغراض المعنوية من وراء ذلك الاستعمال (الصغير وعلي، ٢٠١٢: ٨)، نحو قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴾(الفرقان: ٧).

هذه الآية تشير إلى ردود فعل المشركين في مكة تجاه الرسول محمّد (صلى الله عليه وسلم)، الأمر الذي يوضح كيف كان النبي يواجه التحديات من قومه بسبب إنسانيته العادية، بمظهره وسلوكه، يأكل الطعام كما يأكلون، يمشي في أسواقهم كما يمشون، فقد كان المشركون يتوهمون أن الرسالة تقتضي أن يكون الرسول المبعوث رحمةً للعالمين من غير بني البشر، لذلك قالوا: (مَا لِ هَذَا الرَّسُولِ يَأكُلُ الطَّعَامَ ويَمْشِي في الأَسْوَاقِ)، فطعنوا في نبوته بصيغة الاستفهام التعجُّبي استنكارًا لكونه رسولًا، لأنَّ التعجُّبَ من هذا التساؤل يقتضي الاستحالة من ناحية، ويُقرّر الاستفهام عن أمر ثابت له من ناحية أخرى، فاسم الاستفهام (ما) مبتدأ و(لهذا) خبر عنه، وعليه فإن مثار الاستفهام في هذه الآية هو ثبوت حال أكل الطعام والمشي في الأسواق للذي يدعي الرسالة من الله (ابن عاشور، ١٩٨٤: ٣٢٧/١٨، ودرويش، ١٩٩٤: ٦٧٠/٦–٦٧٢). والآية الكريمة تتضمّن فضاءين دَخْلَيْن:

الأول: الاعتقاد التصوري للرسول كشخص من غير بني البشر.

الثاني: الواقع المرئي المُتَجَسِّد للرسول (صلى الله عليه وسلم).

وعند تفاعل هذين الدَخْلَين في الفضاء الجامع، يحدث تضارب بين التوقعات المسبقة لدى المشركين، من حيث إنَّ الرسول يجب أن يكون فوق مستوى الإنسان العادي، لا يأكل ولا يجول في الأسواق لقضاء حاجاته، ويجب أن يرافقه ملك ظاهر للعيان كنذير وشاهد، يمتلك قدرات غير مألوفة تُميّزه عن غيره، وبين الحقيقة المُتَجسِّدة التي يرونها في الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) لكونه إنساناً يأكل الطعام، ويجول في الأسواق لقضاء حاجاته مثلهم، ولا يرافقه ملك ظاهر للعيان، يُوحَى إليه فقط، ويعيش حياة طبيعية كسائر البشر:

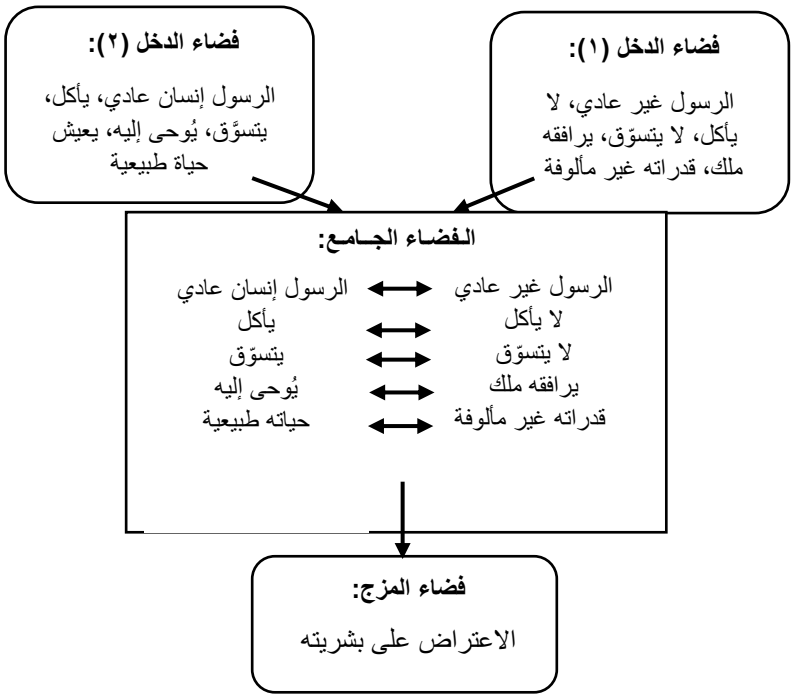

هذا التضارب بين اعتقاد المشركين وتصورهم، والحقيقة التي عليها الرسول المخالفة لتصورهم، أدّى إلى تجلّي معتقد جديد في الفضاء المزيج يتمثل في الاعتراض على إنسانية النبي المُرسَل، بحجة أنه لو كان رسولًا لكان ملاكًا أو صاحب مميزات وصفات غير مألوفة للبشرية.

إذن وباستخدام نظرية المزج المفهومي القائمة على بناء الفضاءات الذهنية والدمج بينها لإنتاج معنى ثالث، رأينا كيف أن اعتقاد المشركين في الآية ينبع من تساؤل غرضه الاعتراض على ماهيّة النبوة، وهو اعتراض يتم دحضه بوساطة الاستفهام التعجُّبي نفسِهِ لتبيان أن بشرية الرسول لا تتعارض مع اصطفائه للرسالة من قبل الله – عزّ وجلّ، والكشفِ عن سوء فهمهم لماهيّة النبوّة، وتوجيههم نحو التصور الصحيح، وهو أنَّ الرسول بشر يُوحى إليه، وليس شرطًا أن يكون ملكًا (البوعمراني، ٢٠١٤: ١٧).

الخاتمة والاستنتاجات:

- ❖ إنَّ نظريَّة المزج المفهوميّ نظريَّة في صلب المعنى؛ لأنَّها تساعد على تفسير كيفية توليد المعاني الجديدة، معتمدًا على الخلفيَّة المعرفيّة المُكوَّنة من شبكات المزج المفهوميّ (الأفضية الذّهنيّة) من خلال عمليَّات في غاية التعقيد. وكلّ ذلك تنتقل من اللاوعي إلى الوعي من أجل فهم المتلقي فهمًا يليق بالمقام.
- ❖ إنَّ ما كان يعدُّ في القديم ظواهر متباعدة بل عمليّات ذهنيَّة مُتباعدة، يعدُّ الآن ظواهر متجانسة ومتوافقة بفضل نظريَّة المزج المفهوميّ التي تقترح أنَّ هناك عمليّة نظاميّة ذات أهداف شاملة بعيدة المدى. وإنَّ هذه الظواهر نتاجات لشبكات المزج الموجّهة بمبادئ عامّة واحدة وبغايات شاملة واحدة، ولا فكاك بينهم.
- ❖ يُوظّف القرآن الكريم المزج المفهومي توظيفًا بديعًا عَبْرَ الدمج بين الدلالات القرآنية المجردة كـ(الحياة والفناء) والحسية كـ(المطر والأرض)، لاستنتاج معان ذات تأثير عميق في المخاطَب.

- إنَّ تحليل الآيات القرآنية وفقًا لنظرية المزج المفهومي، يعزز الإدراكات البشرية لأجل الدعوة إلى التوحيد، عن طريق إبراز التباين بين صورتين ذهنيتين مستمدتين من الواقع الاجتماعي، كـ(العبد المملوك لسيّد واحد) و(العبد المملوك لأسياد متشاكسين)، مما يسهل على المتلقي فهم هذه الصور واستيعابها.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن عاشور، محمد الطاهر (١٩٨٤): **التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)**، الدار التونسية للنشر، تونس.
- أحمد، سليمان عطية (٢٠١٤): **الإشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النّظريَّة العرفانية والمزج المفهوميّ والتداولية (سورة يوسف نموذجًا)**، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة- مصر.
- البوعمراني، محمد الصالح (٢٠١٤): **السيمائية العرفانية الاستعاري والثقافي**، مركز النشر الجامعي، تونس.
- تورنر، مارك (٢٠١١): **مدخل في نظريَّة المزج**، ترجمة: الأزهر الزّنّاد، مطبعة جامعة منوبة، منّوبة-تونس.
- الجدراي، عمارة (٢٠٢١): **الأفضية الذهنية في الخطاب القرآني من خلال نماذج**، مجلة (الباحث)، المجلد (١٣)، العدد(١)، جامعة المنستير، تونس، ص ص ٧٩-٩٤.
- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي (٢٠٠٤): **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تصحيح: محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
- دحمان، عمر (٢٠٢١): **البلاغة المعرفيّة عند مارك تورنر: الذهن الأدبي والمزج التصوري**، مجلة الخطاب، المجلد (١٦)، العدد (٢)، جامعة تيزي وزو، الجزائر، ص ص ٣٧٩-٤١٤.
- درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى (١٩٩٤): **إعراب القرآن وبيانه**، ط٤، دار ابن كثير، بيروت-لبنان.
- الراغب، عبد السلام أحمد (٢٠٠١): **وظيفة الصورة الفنية في القرآن**، ط١، فُصِلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب.
- الزّنّاد، الأزهر:

١. (٢٠١٤): **النّص والخطاب، مباحث لسانيّة عرفنيّة**، ط١، مركز النشر الجامعي، تونس.

٢. (٢٠١٠): **نظريات لسانيّة عرفنيّة**، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت- لبنان.

- الصغير، محمد حسين وعلي، جنان تكليف (٢٠١٢) : **التعبير بالمزج التصوري عن التقابلات الوجدانية في القرآن الكريم**، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد (٦٠)، جامعة الكوفة، الكوفة، ص ص ١-١٤.
- طعمة، عبد الرحمن محمد:

١- (٢٠١٧): **البناء العصبي للغة في إطار اللِّسانيَّات العرفانية العصبية**، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن.

٢- (٢٠١٨): **البناء الذّهنيّ للمفاهيم، بحث في تكامل علوم اللسان وآليات العرفان**، ط١، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن.

- الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (٢٠١٣): **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب وهو حاشية الطيبي على الكشاف**، تحقيق: نخبة من الباحثين بإشراف جائزة دبي للقرآن الكريم، ط١، دبي- الإمارات العربية المتحدة.
- نصيرة، حوالي، وشتوان بوجمعة (٢٠٢١): **الاستعارة في نظريَّة المزج التصوري (رواية رائحة الذئب لسامية بن دريس أنموذجًا)**، مجلة إشكالات في اللُّغة والأدب، المجلد (١٠)، العدد (٥)، جامعة تامنغست، الجزائر، ص ص٣٨٠-٣٩٠.